الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
المركز الجامعي بتندوف

المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية

مجلة أكاديمية محكمة نصف سنوية
تعنى بالنشر في مجال الدراسات التاريخية والقانونية

العدد الأول والثاني
(01) (02)

شعبان 1437هـ/ جوان 2016م

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
المركز الجامعي بتندوف

المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية

مجلة أكاديمية محكمة نصف سنوية
تعنى بالنشر في مجال الدراسات التاريخية والقانونية

"العلم أكبر من أن يحاط به
فخذوا من كل شئ أحسنه" (ابن سيرين)

- ردمد (*ISSN*) : 2437-1025
- رقم الإيداع القانوني: 838-2016

العدد الأول والثاني
شعبان 1437هـ / جوان 2016م

- المراسلات:

المركز الجامعي بتندوف حي المستقبل تندوف لطفي - ص.ب 73-
الرمز البريدي: 037000 - الجزائر
الهاتف: 049.93.85.51
الفاكس: 049.93.85.50
النقال: 06.66.35.79.67

Email:rabd37tindouf @gmail.com

- الهيئة الاستشارية الدولية:

- الهيئة العلمية:

- شروط النشر بالمجلة:

الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية مجلة أكاديمية دولية محكمة تعنى بنشر المقالات العلمية المبتكرة حول مجالي التاريخ والقانون، وتشترط هيئة التحرير على من يرغب في نشر أعماله فيها التقييد بما يلي:

- أن يكون الموضوع المطروق متميزا بالجدة والأصالة والموضوعية والإثراء المعرفي، ولم يسبق نشره من قبل.

- تقبل المقالات باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية، على أن لا يقل عدد صفحات المقال عن 10 صفحات ولا يزيد عن 25 صفحة، وأن لا يزيد عدد الأشكال والرسوم والملاحق عن 15 بالمائة من حجم المقال.

- أن تكون الكتابة على ورق A4 (29.7-21) مع مراعاة التقيد بنوع الخط والحجم، المقالات المكتوبة باللغة العربية يجب أن تكتب بـ: (***Traditionnel Arabic***) حجم 16 بالنسبة للمتن وحجم 12 بالنسبة للهامش؛ أما المقالات المكتوبة باللغة الأجنبية فيجب أن تكتب بـ: (***Times New Roman***) حجم 12 بالنسبة للمتن وحجم 10 بالنسبة للهامش.

- إدراج هوامش المقال على شكل أرقام متسلسلة في نهاية المقال بصيغة أوتوماتيكية.

- أن يكون المقال سليما من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الوقف المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

- يكتب عنوان المقال في أعلى الصفحة الأولى بخط بارز، وأسفله عن الجهة اليسرى من الصفحة يدرج اسم المؤلف ودرجته العلمية وأسفل منها المؤسسة التي ينتمي إليها.

- يرفق المقال بملخص باللغتين العربية و(الفرنسية أو الانجليزية) في حدود 150 إلى 250 كلمة.

- يقدم المقال إلى أمانة المجلة في نسختين ورقيتين وقرص مضغوط قابل للفتح أو بإرساله مرفقا بالسيرة الذاتية لصاحب المقال على بريد المجلة الإلكتروني.

- تخضع المقالات المقدمة للنشر للتقييم من قبل الأساتذة الخبراء، في حين يحتفظ القائمون على المجلة بحق نشر الأعمال المقبولة حسب التوقيت الذي يرونه مناسبا، على أن المجلة غير ملزمة بإبداء الأسباب حول الرفض وعدم النشر.

- تعطى الأولوية في النشر للمقالات حسب الأسبقية الزمنية للورود إلى أمانة المجلة، وذلك بعد إجازتها من هيئة التحرير ووفقا لاعتبارات علمية وفنية.

- لا تتحمل هيئة التحرير أية مسؤولية عن الموضوعات التي يتم نشرها في المجلة ويتحمل بالتالي صاحب المقال كامل المسؤولية عن كتاباته التي تنتهك حقوق الملكية الفكرية أو حقوق الأخرين.

- ترتيب المواد المنشورة يخضع لضوابط فنية ومطبعية لا علاقة لها بالمستوى العلمي للمقال أو مكانة صاحبه الوظيفية.

- المواد المرسلة إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

الفهرس

01	كلمة العدد	6
02	صناعة التوثيق بين البعدين الحضاري والقانوني أ.د بن داوود أبراهيم- جامعة الجلفة	7- 30
03	وثائق الجنوب الغربي الجزائري من عمق السياق إلى قوة الرمز أ.د الحمدي أحمد – جامعة أدرار	31- 47
04	ملامح من التوثيق في وثائق الرحلات مخطوط رحلة التنلاني نموذجا أ. شوقي براركة- جامعة باتنة	48- 66
05	السياسية الجنائية بين الماضي والحاضر وأثر الدين الإسلامي فيها من خلال الحدود د.بن عمران جامعة خنشلة، أ بكراوي محمد المهدي – جامعة غرداية	67- 82
06	حركة الشيخ عثمان فوديو الاصلاحية بغرب افريقيا أ.بكراوي رقية- جامعة أدرار	83- 110
07	تجارة الذهب والملح في أسواق تيندوف في القرن 19م من خلال الوثائق المحلية د. بريك الله حبيب- المركز الجامعي تيندوف	111- 134
08	تاريخ وهوية العمارة الاسلامية بين هندسة العقل وهندسة العمران أ.د بن داوود ابراهيم، د. جمال عبد الكريم جامعة الجلفة	135- 156
09	واقع المخطوطات المحلية في الجزائر المعاصرة زاوية الشواترة نموذجا أ.نجاة عبو- جامعة البويرة	157- 168
10	نظرة مفاهيمية للمرفق العام في الجزائر د. بن منصور عبد الكريم- المركز الجامعي تندوف	169- 203
11	النظام الانتخابي في الجزائر وأثره في تشكيل المجالس البلدية أ.صالحي عبد الناصر- المركز الجامعي تيندوف	204- 228
12	الأمن الجماعي ومبدأ عدم التدخل في الاختصاص الداخلي للدول د. بن منصور عبد الكريم- المركز الجامعي تندوف	229- 261
13	العنصر المفترض في جريمة الدخول او البقاء غير المصرح به للنظام المعلوماتي أ.رابحي عزيزة- جامعة بشار	262- 281

كلمة العدد:

إن للمجلات العلمية مكانة رائدة في النهوض بعجلة البحث العلمي وتطويره والرقي به مما يساهم في تعجيل الحركية العلمية للجامعات ومراكز البحث العلمي على المستويين الوطني والعالمي.

وما تسعى إليه المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية يصب في هذا الحيز الذي نسعى من خلاله إلى إيصال أفكار باحثينا ومفكرينا إلى القارئ الأكاديمي من خلال المقالات والدراسات التي تندرج ضمن البحث في الشؤون التاريخية والقانونية لتكون همزة وصل بين الباحثين سواء من داخل الوطن أو خارجه.

وسوف نعمل جاهدين من أجل أن تكون مجلتنا نقطة وصل لتبادل الأفكار والروى والدراسات التي تكمل بعضها البعض.

وعليه فإن أبواب النشر بالمجلة مفتوحة أمام الباحثين والمفكرين المهتمين بالبحث الأكاديمي الجاد في تخصصي التاريخ والقانون.

والذي نسعى من أجله من خلال هذا المنبر العلمي أن نقدم الجديد في جميع القضايا الحديثة والدراسات التي لم تستوفي بعد حقها من البحث والتتمحيص والدراسة.

وما يسعني في الأخير إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم وقدم يد العون من أجل أن يرى هذين العددين الأول والثاني النور والذي سوف تزدان بهما الساحة العلميةللمكرز الجامعي بتيندوف ومنابر البحث العلمي في ربوع بلادنا الطيبة.

إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم

د. بريك الله حبيب

مدير المجلة ومسؤول النشر

حركة الشيخ عثمان دان فوديو الإصلاحية بغرب إفريقيا

أ . بكراوي رقية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية .
قسم الحقوق، جامعة أدرار

مدخل:

يعتبر تاريخ الدول الإسلامية والممالك التي قامت في إفريقيا عموما وغربها خصوصا من الأمور التي تكاد تكون مجهولة تماماً بالنسبة للمسلمين، فهم لا يكادون يعرفون عن مسلمي إفريقيا شيئاً مع أن نسبة المسلمين في قارة إفريقيا هي الأعلى في قارات العالم .

و على الرغم من أن القارئ لأحداث وتاريخ المنطقة ممالك ودول، سيقف معجباً ولربما منبهراً بالبطولات العظيمة التي قام بها أبطال إفريقيا العظام، خاصة هؤلاء الذين كانوا في الغرب الإفريقي والذين تصدوا لأعنف وأشرس الحملات الوحشية والتي قادها صليبو إسبانيا والبرتغال وفرنسا وأمريكا، فلقد قامت بإفريقيا السوداء الكثير من الممالك الإسلامية العظيمة، على شريعة الإسلام من الكتاب والسنة، بل وعلى منهج السلف فهماً وتطبيقاً [(1)].

منذ دخول الإسلام للقارة الأفريقية كما ذكرنا آنفا وعلى مراحل انتشاره ظهرت زعامات دينية أفريقية، وخاصة خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين والتي واكب ظهورها الجهاد ضد القوى الاستعمارية باسم الإسلام مما

[(1)]– إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر : **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر**، ط2،ج2، مكتبة العبيكان، الأردن (2002)، ص271.

أسهم في زيادة انتشاره من جهة أو وتطهيره من الشوائب التي لحقت به في المناطق التي دخل إليها وانتشر فيها منذ أمد بعيد.

ومن أشهر هؤلاء الزعامات الشيخ عثمان دان فوديو مؤسس الدولة الفولانية التي استمرت بغرب إفريقيا ما يقارب مائة عام، ومن أكبر قبائلها قبائل الفولاني " الفولة " التي ينتمي إليها عثمان دان فوديو [1].

المبحث الأول: نبذة عن حياة الشيخ عثمان دان فوديو :

وينتسب الشيخ عثمان لمجموعة تورونكو من نسل موسى جوكوتو الذي هاجر من فوتاتورو في القرن 15 م، واستقر أسلاف الشيخ في كوني، وبعد ولادة الشيخ هاجروا إلى دقل [2].

نشأ الشيخ والداعية عثمان بن محمد بن صالح بن هارون بن محمد بن يحي الملقب بإبن فوديو، والسيدة حواء حفيدة العالم النيجيري محمد بن سعد [3]، بقرية مرت "Maratta" بأرض جالمي "Gualmie" ولاية سوكوتو بشمال نيجيريا الحالية سنة 1168 ه / 1754 م [4].

---

[1]-جوزيف كي زيربو : **تاريخ إفريقيا السوداء**، القسم الثاني، تر يوسف شلب الشام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، (1994) ص625.

[2]- علي يعقوب :**الخلافة العثمانية في سكت (SOKOTO) ودورها في غرب افريقيا**، مجلة قراءات مختصة في الشؤون الإفريقية، العدد 11، المنتدى الإسلامي، (2012)،ص 4.

[3].-مصطفى الغديري :**أسرة آل فودي ودورها في ترسيخ العقيدة الإسلامية ونشر اللغة العربية في شمال نيجيريا**، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، كلية الدعوة الإسلامية،طرابلس، ص ص280، 281.

[4].- يحي بوعزيز:**تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16الى مطلع القرن 20م**، دار هومة، الجزائر، (2001)، ص ص 141-142.

ينحدر أجداد الشيخ عثمان بن فوديو من الأسرة والقبيلة الفولانية من منطقة فوتاتور، الذين قدموا إلى بلاد الهوسا منذ القرن الثالث عشر بقيادة الشيخ موسى جوكلو الجد العاشر للشيخ عثمان دان فوديو [1]، وترجع الروايات سبب هجرتهم إلى أسباب سياسية واقتصادية، فالصراع على السلطة في مناطق فوتاتور وفوتاجلون أجبر مجموعات كثيرة من الفولانيين على الهجرة إلى الشرق بحثاً على المراعي وعن أوضاع سياسية أفضل " [2].

ورغم اختلاف أصولهم فإنهم عرفوا بعمق عقيدتهم الإسلامية، وإنجابهم العديد من المعلمين والدعاة، حتى أطلق عليهم لقب " قبيلة الدعاة الإسلاميين " كونهم أكثر الشعوب مساهمة في نشر الإسلام في غرب إفريقيا،إضافة لكونهم عنصر الوحدة بين شعوب وقبائل غرب إفريقيا، رغم المحاولات التي بذلها الاستعمار للقضاء عليها [3].

حفظ الشيخ عثمان القرآن الكريم على والده الشيخ محمد فودي، ودرس العلوم الإسلامية واللغة العربية على يد الشيخ عبد الرحمان حمادي [4]، والشيخ

---

[1]- محمد بلو: **انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، تر بهيجة الشاذلي، ط1، معهد الدراسات الإفريقية، القاهرة،(1996)، ص83.

[2]- الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: **الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان الفلاتي**، ط1، دار الكتاب، الكويت، (1994)،ص 219.

[3]-مبارك بن الصافي جعفري : **العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12ه**، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، (2009)، ص 82

[4]- عثمان برايما باري:**جذور الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا**، ط 1، دارالأمين، القاهرة، (2000)، ص ص، 96-98.

جبريل بن عمر الأغديسي وكان من أفاضل علماء السودان وأغزرهم علماً وفصاحة [1].

عمل الشيخ عثمان معلماً جاب معظم بلاد الهوسا، وكان يتحدث باللغة العربية والفولانية والهوساوية، حتى عرف بالبلاغة والفصاحة [2] تصدر للتدريس فملأ القطر الإفريقي معارف وتلاميذ، وبفضل أخلاقه وحسن سيرته أصبح أحب الناس إلى أنفسهم يتزاحمون عليه [3].

أحيا الشيخ السنة وأمات البدعة، ونشر العلوم وجمع بين الحقيقة والشريعة، ومن صفاته أيضا البشاشة وطلاقة وجه وحسن خلق [4].

يذكر عبد الله بن فودي شقيق عثمان أنه أخذ علم تفسير القرآن عن الزنفوري وأخذ علوم الحديث عن الحاج محمد براجى بن موبو بن حما بن علي، [5].

أهتم الشيخ عثمان في تعليمه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر قواعد الإسلام الصحيحة ومحاربة الفجور والأعمال الفاسدة والعادات السيئة.

ونظراَ لحداثة سكان تلك الأصقاع بالدين الإسلامي، وتعاليمه السامية، فقد كانوا يأتون إلى الوعظ مصحوبين بنسائهم، كما تأثر ابن فودي بالشيخ المغيلي

---

(1)- أحمد بوعتروس: **الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء ابان القرن الثالث عشر الهجري – التاسع عشر ميلادي**، وزارة الثقافة، الجزائر (2009)،ص ص 132-133.

(2)- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي عطا الله الجمل: **تاريخ المسلمين في إفريقيا، ومشكلاتهم**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (1996)، ص93 وما بعدها .

(3)- محمد بلو، المصدر السابق، ص93.

(4)- أحمد إبراهيم دياب، المرجع السابق، ص201.

(5)- عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص99.

في غيرته على الإسلام والدفاع عن دولة الإسلام باللسان وباليد[1]حتى ظل هذا التأثير محفوظاً في ذاكرة الأجيال من أبناء السودان الغربيّ عموماً ونيجيريا على الخصوص، وظلت أعماله وآثاره المكتوبة والروايات الشفوية المنقولة عنه يحفظها العلماء ويتداولها أهل الإصلاح والسياسة ورجال الدعوة جيلاً بعد آخر، ولا نكاد نجد مؤلفاً من مؤلفات الشيخ عثمان أو غيره من منظري حركته والقائمين بدعوته والمؤرخين لها، يخلو من الإشارة للمغيلي والنقل عنه والرجوع إلى وصاياه وفتاواه ورسائله، والاحتجاج بأقواله وآرائه في تدعيم دعوتهم وإسناد الأفكار التي تضمنتها حركتهم الجهادية والإصلاحية والدعوية[2]وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على غاية التأثير والتعلق بهذا الشيخ الكبير الشيخ المغيلي ودوره البارز والرائد الذي قام به في سبيل إرساء قواعد الدعوة الإسلامية [3].

المبحث الثاني: منهجه الفكري وأهم مؤلفاته

1/ المنهج الفكري للشيخ عثمان دان فوديو

اتخذ الشيخ عثمان دان فوديو عند القيام بحركته الإصلاحية منهجا فكريا سار عليه هو وأتباعه خاصة وأن الشيخ يرى أنه لكل ثورة تقوم، يجب أن يكون لها منهجها الذي تسير عليه، ولتحقيق هذا الأمر وضع الشيخ هو وأتباعه منهجا

---

[1]- مبروك مقدم، المرجع السابق، ص227.

[2]-عبد العلي الودغيري: **ملامح من التأثير المغربيّ في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدّد عثمان بن فُودي،** www.attarikh-alarabi.ma ، يوم 2013/02/06

[3]- أحمد أبا الصافي جعفري:**من تاريخ توات**، ط1، القاهرة: النهضة المصرية، (2002)، ص26 .

فكريا استطاع بواسطته أن يدعو إلى التغيير وإقامة حكم الله في الأرض على طريقة الشيخ الولي المعروفة عند الطرق الصوفية، كما أبدع في تحويله إلى حركة إيجابية قادرة على استنهاض الطاقات الكامنة داخل الأمة عبر إحياء روح الجهاد والاستشهاد وقد اعتمد في حركته على مبدأ الولاية المكتسبة بالعلم والخبرة والمعززة بالمبايعة من قبل العلماء ووجوه الأمة والمرتكزة على اطمئنان الجمهور المتواصل مع قيادته بشكل دائم [1].

كما لم ينتحل الشيخ أية دعوة خاصة على الطريقة الفاطمية أو المهدية، بل استمر بالدعوة إلى المنابع الأصيلة للفكر الإسلامي وفقد كانت حركته تعبيرا عن تطور الظروف المحلية التي استشعرت إمكانية النهوض والتطور نتيجة احتكاكها وتعرفها على الدعوة الإسلامية بصورتها الصحيحة، وبالتالي لم يعرف عنها الانتماء إلى أي من الاتجاهات التي كان يضج بها المجتمع الإسلامي، كما أنها لم تكن كمثيلاتها من الحركات الأفريقية حيث كان التمسك فيها بالإسلام تعبيرا عن ردة فعل على الغزو الاستعماري الأوروبي الذي جاء ليؤسس نموذجا حضاريا غريبا ومنافيا للطبيعة الأفريقية التقليدية [2].

وعموما فقد قام منهجه على ما يلي :

- السعي لتصحيح المعتقدات والمفاهيم الخاطئة عن الإسلام.

---

[1]- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : **الطرق الصوفية في القارة الإفريقية**، ط 1، دار الثقافة، القاهرة(2004)، ص 35 .

[2]- علي الشاب : **منتدى ربـــاط الفقـــر إلى الله**، URL=http://www.islamonline.net/ 2013/02/25/

– تطبيق الشريعة على كافة مجتمعات المسلمين في ذلك الجزء من العالم على ضوء كتاب الله وسنة رسوله الكريم .

– تشجيع الناس على إتباع السنة المحمدية والامتثال لها قولا وعملا والحرص على انتشار مفاهيمها الصحيحة بين عامة الناس .

– السعي من أجل القضاء على البدع الشيطانية الدخيلة على عقيدة المسلمين، والعمل للتخلص من العادات والتقاليد المناهضة لأسس الصحيحة .

– السعي من أجل نشر الوعي الإسلامي بين عامة الناس وذلك عن طريق الاعتماد على مؤلفات وآراء أجلة العلماء المجتهدين ويتحقق هذا المنهج الفكري وأهدافه السامية في أطار دولة إسلامية ذات ثلاثة عناصر أساسية وهي:

1. العلماء الذين يقومون بدور التوجيه .
2. عامة الناس الذين يقومون بالامتثال لهذا التوجيه.
3. الحكام الذين يشرفون على مسيرة هذا التوجيه [1].

وبواسطة هذا المنهج المرن استطاع الشيخ عثمان كسب عدد كبير من الأنصار والمؤيدين قاد بهم حركته الجهادية في كامل غرب إفريقيا .

2/ أهم مؤلفات الشيخ :

كان الشيخ عثمان دان فوديو أحد زعماء المسلمين القلائل الذين أثروا في شعوبهم، وأدوا الأمانة على وجه طيب، وقادوا شعوبهم بشكل سليم وسط الأمواج المتلاطمة والظلمات الدامسة، حتى وصلوا إلى بر الأمان، وأنشأوا دولة إسلامية كبرى شملت بلاد الهوسا وغيرها من أقاليم نيجيريا الحالية.

وكان من الطبيعي على عثمان دان فوديو قائد الجهاد أن يوضح وجهة نظره حول أهم المشكلات التي تواجه الناس في حياتهم، بل وكل القضايا التي

[1]– عثمان برايما باري، المرجع السابق ص ص 116، 1177.

تعترض قيام الدولة الإسلامية وتوسعاتها، فجاءت مؤلفاته لتكون تبعا للفكر وينبوعاً للثقافة، ومرشد الناس في عالم صار الجهل أبرز سماته، ولتكون مصدراً التشريع، وكانت هذه الكتب تشرح الدعوة وتفسر مختلف النظريات وتعالج كافة القضايا الفقهية، وترد على افتراءات الناس حول دعوته الإصلاحية.

ومن أهمها - **إرشاد الأمة تيسير الملة.**

- هدية الطلاب.

- توفيق المسلمين على حكم مذاهب المجتهدين [1].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان وجوب نصب الإمام وإقامة الجهاد

حكم جهال بلاد الهاوسا

التفرقة بين الوعظ المحمود والوعظ المذموم " .... [2].

وخلال عمله الإصلاحي اهتم الشيخ عثمان بنظم الشعر الإصلاحي الذي يدعو إلى مكارم الأخلاق والوحدة في الله حتى بلغ ما ألفه من الكتب أكثر من مائة مخطوط، ما يزال أغلبها مخطوطاً على ما يبدوا ولدى الأسر العلمية والمثقفين في السودان الغربي [3].

ومن ضمنها **"حصن الإفهام من جيوش الأوهام"**، وكتاب **"نجم الأخوان يهتدون بإذن الله في أمور الزمان"**، وكتاب **"مراج الأخوان في أهم ما يحتاج إليه**

---

[1]- يحي بوعزيز،المرجع السابق، ص219.

[2]- عثمان بن فوديو : **فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر**، تح سيني مومــوني، ســالو الحسن، ENS EDITIONS، (2011)، ص 51.

[3]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص119.

في هذا الزمان"، وكتاب "**اقحام المنكرين في الزجر عن البدع والأهواء**"، وكتاب " **نصيحة أهل الزمان** " [1] .

وكتاب "**عمدة العلماء** " الذي أورد فيه الأسس التي يعتمد عليها العلماء والفقهاء في تأليفهم الفقهية مستدلا في ذلك بأدلة من القرآن والسنة النبوية الشريفة[2] .

لم تقتصر مؤلفات الشيخ عن الأمور الدينية، بل راح يناقش مسائل تتصل بالنظم الاجتماعية، والسياسية، وكانت (**وثيقة أهل السودان**) حرباً على الكفرة والوثنيين، كما وضح الشيخ أسس المجتمع الإسلامي في كتابه "**ضياء السياسات وفتاوى النوازل في فروع الدين من المسائل**"، كما تحدث في كتابه "**تنبيه الأخوان على أحوال أرض السودان**" عن بلاد الهوسا وأسباب الصراع بين زعمائها وهو مخطوط بمكتبة آيبادان بنيجيريا في 17 صفحة وقد قدم (هود جيكين) ملخصاً لما تناوله الكتاب [3].

---

(1)- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر**،المرجع السابق، ص144. **حول هذه المخطوطات أنظر أيضا، بابا يوس محمد : فهرس مخطوطات دار الوثائق القومية النيجيرية بكادونا، تحق جون هنويك، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن (1997)**.

(2)-عثمان دان فوديو : **مخطوط عمدة العلماء**، Ibadan (UL), 77, 277 ; Kaduna (LH),، ص ص1-2 .

(3)-إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، شوقي عطا الله الجمل، **تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم الحضارية**، المرجع السابق، ص96 وما بعدها.انظر أيضا :عثمان دان فوديو، **فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر**، المخطوط السابق، ص ص 53-54.

كما طبق الشيخ عثمان المذهب المالكي، واعتنى به طوال حياته، كما فعل غيره من العلماء والمصلحين في السودان، ونفى أن يكون مهدياً منتظراً، كما حاول البعض أن يشيع ذلك، كما نفى أن يظهر هذا المهدي في السودان [1].

ويبدو مما سبق أن الشيخ عثمان كان على علم بما يحيط بمجتمعه وعلى دراية بالأمراض الاجتماعية، والنفسية، والمفاسد الأخلاقية التي غشيت المجتمعات الأفريقية والتي تتنافى مع القيم والأخلاق الإنسانية النبيلة، أما فيما يخص بتولي الجهلة المناصب من قبل الجهلة على حساب أهل العلم لاعتبارات عديدة، فقد عد هذا بدعة من البدع المحرمة .

وهكذا استطاع الشيخ وفي فترة وجيزة من العمل الدؤوب أن ينجز العديد من المؤلفات التي أوجدت صدى في نفوس العامة والخاصة متصديا من خلالها للجمود الفكري الذي أصاب الأمة

المبحث الأول : الدعوة:

يرتبط معظم السودانيين في غرب إفريقيا خاصة رجال الدين بواسطة أحد الطريقتين القادرية والتيجانية، ولقد انتشرت القادرية بشكل كبير أثناء القرن التاسع عشر، ولا يمكن تفهم انتشار الدعوة الإسلامية على حقيقتها تماما، كذلك المنافسات الداخلية ضمن المجموعات الإسلامية دون النظر إلى ارتباط الزعماء المسلمين بإحدى الطرق الدينية، لأن النفوذ السياسي لأحدهما يرتبط إلى حد كبير بمدى الزعامة الدينية التي يتمتعون بها.

- ويقول بعض الباحثين لم تكن الطرق الدينية وحدها قبل القرن التاسع عشر العامل الوحيد في ظهور فكرة الجهاد بغربي إفريقيا ولكن سرعان ما كان الالتحاق بإحدى الطريقتين القادرية أو التيجانية سبيلاً لاعتناق الإسلام، وأصبح كل مسلم

---

[1]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص220.

يتبع واحدة من الطريقتين، فعثمان دان فوديو اعتنق القادرية وأصبح زعيمها الرسمي فارتبط بهذه الطريقة عدد كبير من السكان [1].

ويمكن تلخيص أسباب ظهور ونمو فكرة الجهاد إلى عدة أسباب منها:

1) اختلاط العقيدة الإسلامية بطقوس الوثنية، فانتشرت عبادة الموتى وتقديسهم حتى بين المسلمين في كثير من مناطق غرب إفريقيا.

2) تلقي بعض الزعماء الأفارقة لتعليمهم الديني في الأزهر الشريف مما كان أثر كبير عليهم، فعادوا إلى بلادهم وكلهم حماس لنشر الدين الإسلامي وتصحيح العقيدة.

3) انتشار المراكز الإسلامية في السودان الغربي، مما أدى إلى إبراز فكرة الجهاد إضافة إلى انتشار الطرق الصوفية التي حرص إتباعها على نشر الإسلام، ثم نادوا بعد ذلك باستخدام القوة والعنف ضد الغزو الأوربي للمنطقة أي أن فكرة الجهاد نفسها تطورت، فبعد إن كانت ضد الوثنيين شملت الأوربيين أيضا [2].

4) كما أدى قيام الزعماء الأفارقة بأداء فريضة الحج إلى تأثرهم بالدعوة الوهابية التي نادى أتباعها بالجهاد لإصلاح أحوال المسلمين والقضاء على كل ما يتعارض مع مبادئ الإسلام، وقد كان لهذه الفريضة أهمية كبيرة لدى مسلمي غرب إفريقيا، حتى أدرك الفرنسيون أنفسهم خطورتها، ومن هؤلاء الزعماء الشيخ " عثمان دان فوديو" الذي عمل منذ بداية دعوته الإسلامية على نشر قواعد الإسلام الصحيحة،

---

(1)- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، الطرق الصوفية في القارة الأفريقية، المرجع السابق، ص ص 39-40 .

(2)- إلهام محمد علي ذهني: **جهاد المماليك الإسلامية في غرب إفريقيا (1850-1914) ضد الاستعمار الفرنسي**، دار المريخ، الرياض، (1988)، ص31.

ومحاربة الأعمال الفاسدة، وأعلن ثورة الجهاد ضد الوثنيين، وضد الحكام المسلمين الضالين [1].

حاول الشيخ عثمان دان فوديو تثبيت التوحيد الخالص بمحاربة كل ما يؤيد إلى الشرك كالاعتقاد في قدسية بعض الأرواح، أو الأشجار أو الأحجار وتقديم القرابين إلى الجن والتبرك بالقبور [2] والرجوع إلى القرآن ومحاربة البدع والخرافات المعروفة، فاتخاذ الجهاد وسيلة لنشر دعوته بين الوثنيين وبين المسلمين الذين حاد إسلامهم عن الطريق الصحيح، كما وضع الدين الأساس الإسلامي للإدارة في دولته الكبيرة، وهو الأساس الذي استمر حتى نهاية الدولة على يد الإنجليز[3] .

بدأ الشيخ عثمان الدعوة والإرشاد وهو لم يتجاوز عشرين سنة، وكان يقوم بالتدريس جنباً إلى جنب مع الدعوة والإرشاد في تجمعات عامة، وشد الرحال إلى أماكن مختلفة بعيدة وقريبة يدعوا الناس لاعتناق الإسلام والابتعاد عن الوثنية وإرشاد المسلمين منهم إلى ترك ممارسات وعادات الشرك فكان يطلب منهم الاستنارة بمبادئ التوحيد الغراء، وقد وصف عبد الله دان فودي في كتابه "تزيين ا لورقة " اجتماع الأصفياء من المسلمين حول أخيه عثمان قائلاً:

((... قمنا جماعة وأفرادا تأييد الشيخ عثمان في جهوده لنصر الدين الإسلامي الحنيف، وقد اضطلع في هذا الصدد بسفريات، شرقاً وغرباً يدعو الناس إلى دين الله الحنيف قولا وعملاً، دعاهم بلغة عادية، كما دعاهم من خلال قصائد،

---

[1]- عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص78.

[2]- عبد الوهاب الكيالي : **موسوعة السياسة** ، ج 4، دار الهدى، بيروت، ص14.

[3]- شوقي الجمل : **الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا**، مجلة الدراسات الإفريقيـــة، العـــدد 8، جامعة القاهرة، (1979)، ص 49-50.

ومنظومات شعرية بلهجات محلية مختلفة من بينها الفولاذية والهاوسوية، داعياً بذلك إلى تحطيم العادات والتقاليد المناوئة للشريعة الإسلامية السمحة، واستجابة لدى السماع عنه وذهبوا إليه مشجعين ومؤيدين له)) [1].

سافر الشيخ عثمان أول الأمر إلى العديد من المناطق يدعو أهاليها إلى إصلاح أمور دينهم، والعمل بالإسلام ديناً والنهي بالعادات الحسنة وأعمال صالحة، وتجنب الطالحة منها، وتدفقت عليه جماهير غفيرة لإعلان الولاء والمبايعة، والاستفادة من ينابيع العلم، والمعرفة، يستمعون إليه بالاهتمام والاعتناء الكاملين، وهو يلقي عليهم دروسه وتوجه في سفره الثاني، إلى منطقة "زنفرا"، حيث قضى بها خمس سنوات يدعوا خلالها إلى احتضان الإسلام .

وتذكر المراجع أن الشيخ عثمان أثناء تنقلاته كان عازفا عن زيارة الملوك والحكام ويستنكف ملاقاة أصحاب النفوذ والسلطان، ولا يتعامل معهم ولا يتدخل في أمورهم السياسية متفرغاً لتربية الناس وتوجيههم شارحا لهم الإسلام مركزاً على مهاجمة رذيلتين انتشرتا في السودان الغربي هما شرب الخمر، وفساد الأخلاق [2].

وبعد أن أحدث الشيخ يقظة فكرية دعاه **"باوا"** ملك جوبير إلى البلاد ليعلم أبناءه فزاد هذا من شهرته وذيوع صيبة وارتفاع مكانة بين العامة والخاصة [3]، وفي هذا المرحلة أيضا جابه الشيخ عثمان معارضين في مجالسه الوعظة النساء إلى جانب الرجال، ومن أبرز من نقموا هذه ونقدوه في هذا الصدد الشيخ مصطفى الفوتي الذي كانت له شهرة في المنطقة ومكانة لدى الناس في ذلك الوقت، فما

---

[1]- نفسه، ص ص 98-99.

[2]- محمد سعيد القشاط : **أعلام من الصحراء**، دار الملتقى للطباعة والنشر، ص 115.

[3]- أحمد بوعتروس، المرجع السابق، ص92.

كان من الشيخ عثمان إلا الإصرار على أن تعليم النساء واجب إسلاميا وان حضورهن مجالس الدرس تقتضيه السنة ولا يخالف مبادئ الإسلام الصحيحة [1].

اتخذ الشيخ عثمان من بلدته ديجل " Dégul " منطلقا لنشر دعوته، وقد ساعده في ذلك إتباع كثيرين مخلصين لدعوته وبمرور الزمن تمكن من تكوين مجموعة من الطلاب عكفوا على مساعدته في تبليغ دعوته الإصلاحية إلى كل الجهات، ونسخ كتبه، ونشرها بين الناس فاتسعت دعوته وبلغت إلى أغلب المجتمعات السودانية في المنطقة.

ولبساطة دعوته ومرونتها وسرعة فهمها ووضوحها في أذهان الناس استطاع كسبهم إلى صفه زرفات ووحدانا فزاد إقبالهم عليه، وهكذا استطاع الشيخ بعد فترة وجيزة من العمل الدؤوب أن يحيط به جموعاً غفيرة من الأتباع المخلصين والمريدين الصادقين[2].

ومع ازدياد هؤلاء الأتباع بدأت الريبة والمخاوف تنتاب الحكام في إمارة جوبير " Coubrir " فسارعوا بالتردد للشيخ محاولين احتوائه، ومن ثم إنتهز الفرصة لإنتزع امتيازات منهم من أهمها:

السماح له بحرية الدعوة للإسلام وإن لا يخضع أتباعه ومريدوه لأي ضغط.

ولم تقتصر دائرة نفوذ الشيخ على جماهير الأتباع الذين انضموا إلى جماعته، ولكنه كان معلماً ومدرساً في دقل يلقي الدروس في العلوم الإسلامية في

---

(1)- عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص79.

(2)- علي بوترعة :**القوافل التجارية ودورها في العلاقات الحضارية بين بلاد المغرب العربي ومنطقة السودان جنوب الصحراء خلال القرنين 18و19 م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص التاريخ الأفريقي الحديث والمعاصر، إشراف بوصفصاف عبد الكريم، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة أدرار (2009-2010) ص ص 125-126 . أنظر أيضا: أحمد إبراهيم دياب، المرجع السابق ص ص204-205.

مساجدها، وينشر الرسائل باللغة العربية والقصائد الشعرية باللغة الفلانية والهوساوية [1].

وافق السلطان " باوا " على الالتزام بهذه المطالب وقيل أن السبب هو تقدمه في السن وعجزه بدنياً عن مواصلة المقاومة.

وأعلن أكثر من ألف شخص من الأعيان والعلماء في سلطنة "غوبر" انضمامهم إلى الجماعة أثناء الاحتفال بعيد الأضحى لتلك السنة فكان ذلك منعطفاً جديداً في مسار حركة الشيخ، وانتصاراً سياسياً باهراً له، ومنذئذٍ تبين بجلاء أن أهداف الجماعة لا تتوقف عند عتبة إصلاح السلبيات الاجتماعية والقضاء على البدع الضالة والجمود الفكري فحسب، بل هدفهم أسمى من ذلك وبعد، وهو التمكين لدين الإسلام في الأرض وإقامة دولة إسلامية على أنقاض دولة الكفر الوثنية، ولو تطلب ذلك القيام بالجهاد ورفع رايته [2].

ومن جهتهم حكام البلاد أدركوا سوء العاقبة وعدم تقدير الأمور حق قدرها، فحاولوا سد الطريق أمام حركة الشيخ، ولكن سبق العدل السيف، وتوفي السلطان " باوا" عام 1117 ه - 1744م، وخلفه ابنه " نافاتا " "Nafata " والذي أدرك وقدر ما يتمتع به الشيخ عثمان وأتباعه وشعر هو الآخر بالخطر الداهم الذي يهدد ملكه، ورغم أنه كان أحد أتباع الشيخ، غير أنه تنكر له بعد توليه الحكم، بل وعزم على القضاء على الدعوة والإصلاح في بلاد الهوسا والحيلولة دون زيادة انتشار رقعة الإسلام وتنامي عدد المسلمين بإصداره لمرسوم نص على:

1) عدم السماح لأي شخص باعتناق الدين الإسلامي والتدين به إلا من ورثه عن أجداده.

---

[1]- أحمد إبراهيم دياب، المرجع السابق، ص205.

[2]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص146.

2) لا يسمح لأي أحد بارتداء العمامة بعد تاريخ المرسوم وإلا تضرب امرأة بخمارها على وجهها.

3) عدم السماح لأحد بالوعظ إلاّ الشيخ عثمان.

ويتضح من خلال بنود هذا المرسوم النافاتي أنه يهدف للحد من نشاط الشيخ وحركته وحصر الدعوة في شخص الشيخ وحده، كل هذا يقف عقبة كؤوداً في وجه الشيخ تعرقل مسيرته الجهادية، وتفتح الباب مجدداً لعودة مظاهر الانحطاط الأخلاقي والفساد الاجتماعي في البلاد [1].

وكان من الطبيعي أن يعارض أتباع الشيخ محتوى هذا المرسوم وخصوصاً أخوه عبد الله بن فودي، الأخ الصغير للشيخ وساعده الأيمن في الحركة الإصلاحية، فقرر الوقوف بعنف ضد هذه الإجراءات مهما كلفهم ذلك من مشاق، غير أن الشيخ عثمان عارض استخدام القوة والعنف لأنه في بداية طريق طويل، ولا يريد الدخول في صراع مع الطبقة الحاكمة حتى لا تتشتت جهوده، وتتبدد محاولاته وينصرف عن هدفه الأسمى، وهو إعلان كلمة الدين ورفع راية الإسلام والمسلمين.

ولم يرغب في التورط والإنغماس في الصراع مع السلطات حتى لا تتشتت قواته، غير أن هذا الأمر زاد من شدة خنق "نافاتا" على الدعوة والداعية وأضمر لهما الشر في نفسه وسعى بالكيد والتآمر على الشيخ محاولاً قتله بالحيلة، ولكن القدر لم يمكنه من تحقيق هدفه [2].

ويعتبر بعض المؤرخون أن هذا المرسوم يعد الطلقة الأولى التي أشعلت نار الجهاد، لكن شاءت الأقدار أن يموت هذا الحاكم عام 1803م بعد مدة قليلة من

[1]- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي عطا الله الجمل، **دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المرجع السابق، ص136.

[2]- أحمد بوعتروس، المرجع السابق، ص150.

إصداره للمرسوم، وخلفه ابنه " يونفا " Yonfa " والذي كان أحد تلاميذة الشيخ أيضا، ووعده بإلهاء ما جاء في المرسوم، والسماح للشيخ بحرية الوعظ والإرشاد، لكن شعوره بخطر الشيخ أدى إلى انقلابه رأساً على عقب، بل ووصل به الأمر إلى التآمر على الشيخ وإتباعه، ومحاولة قتل سيده وأستاذه، فتعقدت الأمور بين الطرفين وأزداد الأمر سوءاً [1].

بعدها هاجم الملك يونفا إحدى جماعات الشيخ كان يقودها عبد السلام [*] ويرابط بها في "غمبنا"، وفتك بأهلها وقتل عدداً من الفقهاء والعلماء دون رحمة، بل وبالغ في سلب ونهب أموال المسلمين واستباحة أعراضهم واستفزازهم وتعذيبهم، كما أمر قواته بإحراق الكتب والمصاحف و تحريض الناس على الشيخ وجماعته، وقد ذكر " محمد بللو " [*] عن هذا الأمر، أن الحكام ومعاونيهم قد بدأوا بالحيلولة بين جماعة الشيخ وبين عامة الناس، ومنهم من اعتنق الدين الإسلامي، والتحلي بأخلاقياته، فتعرضت ممتلكاتهم للإستلاء، وهددوا بالقضاء عليهم ما لم يمتنعوا عن مواصلة دعوة الناس للإسلام وتشجيعهم على الانضمام إلى صفوفهم[2].

ومن هذه المضايقات والإذلال ما لحق بالشيخ وجماعته وخاصة بعدما وصل الأمر بالحاكم "يونقا " إلى إصدار قرار يطلب فيه من الشيخ التخلي عن جماعته والعيش منفرداً في المنفى،ورفض الشيخ المصلح لهذه الأوامر والقرارات المستبدة وقررالتحرك والابتعاد عن المواجهة بأتباعه، والذهاب إلى منطقة جودو " Goolo " فجن جنون الحاكم وأصدر أمراً يقضي بإلقاء القبض على الشيخ، كما أمر حكام الأمارات بغزو وتخريب قرى المسلمين ونهبها فكان هذا الأمر بداية

---

(1)-جوزيف كي زيربو، المرجع السابق، ص627.

(*)- هو أحد تلامذة الشيخ وقادته .

(*)- بللو كلمة فلانية تعني المساعد.

(2)- عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص106.

الجهاد، وأصبح الشيخ قائداً وإماماً لجماعة المسلمين من الفولاني الذين وجدوا فيه ارتفاعا لشأنهم وتمجيداً لآمال طالما كانوا يحلمون بها، فصاروا عدته وسلاحه ضد قوى الضلال [1].

المبحث الثاني : إعلان الجهاد وتأسيس الدولة الإسلامية:

كانت الهجرة إلى مدينة (جودو) بداية تأسيس إمبراطورية الفولاني، التي اتخذت من مدينة سوكوتو عاصمة لها، وأخذ الشيخ معه الأنصار والأتباع إلى أطراف الصحراء، وهناك اقروا له بالطاعة والولاء، وبايعوه وحلفوا اليمين على طاعته على الكتاب والسنة، وحمل الشيخ لقب " أمير المؤمنين " ذلك اللقب الذي استمر مع الخلافة إلى نهايتها عام 1903م، كما حمل لقب خليفة في بعض الأحيان، وهو اللقب الذي حمله أبناؤه وذريته من بعده واستقر بسوكوتو.

كانت هذه البيعة بداية الجهاد ومنطلقاً فعلياً في تغيير أسلوب الدعوة وإيذانا بتأسيس الخلافة الإسلامية التي لطالما اشرأبت لها أعناق المسلمين، ذلك لأن البيعة كانت تعني نقل الجهاد من الدور السلبي إلى الدور الايجابي الجديد، وانتشرت أخبار الجهاد ضد حكام الهاوسا [*]، وأصدر الشيخ وثيقة "أهل السودان" التي صارت إعلاناً رسمياً للجهاد [2]،

وهذا وقد سميت وثيقة أهل السودان بهذا الاسم لأنها عبارة عن رسالة موجهة ليس فقط إلى أهالي جوبير، بل إلى سكان السودان الغربي حيث أعلن

---

[1]- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي عطا الله الجمل، دراسات في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص138.

[*]- راسل الشيخ حكام بلاد الهوسا طالباً منهم الدخول في طاعته وتطبيق الشرع الإسلامي لكن دعوته لم يجد آذانا صاغية من قبل الحكام.

[2]- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي عطا الله الجمل، تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم الحضارية، المرجع السابق، ص98.

الشيخ من خلالها الحرب على كل الوثنين [1]، وقد تضمنت الوثيقة 27 بنداً، حدد فيها الشيخ الأسس التي بني عليها الجهاد، ضد الكفار والوثنيين وأصرره على قتل البغاة والملك المرتد الذي خرج من دين الإسلام إلى دين الكفر.

ومما جاء فيها :((...فاعلموا يا أخواني أن الأمر بالمعروف واجب إجماعا وأن النهي عن المنكر واجب إجماعا ... وأن موالات المؤمنين واجبة إجماعاً، وإن قتال الملك المرتد الذي خرج عن دين الإسلام واجب إجماعاً ....)) [2]، ومن خلال المبادئ التي حددها وثيقة أهل السودان، يبدوا واضحاً أن الشيخ كان ينتظر الظروف المواتية واللحظة المناسبة للإطاحة بالأنظمة الفاسدة، ونسف الحكومات التي تتحكم في رقاب المسلمين في بلاد الهوسا وما حولها .

وكان الرد العملي من قبل الحاكم على دعوة الشيخ الإصلاحية أن أرسل إلى إخوانه الأمراء في "كاتسنا" و"كانوا" و"دور" يطلب منهم المساعدة لأنه أهمل إطفاء شرارة النار في إمارته حتى اتسعت رقعتها وزادت حدتها، وصار فوق احتماله القضاء على خطورتها .

وقد ذكر الشيخ لجماعته أنه رأى في منامه إرهاصات الجهاد قبل اندلاعه بسنة، فشمر منذ ذلك التاريخ عن ساعد الجد، ولبى تلامذة وأتباع الشيخ النداء واستجاب الأنصار والمؤيدين لرغبته، لارتباطهم الوثيق به، وتأثرهم بصدق دعوته، غير عابئين بالعقبات التي ستواجههم في سبيل رفع راية الإسلام وإعلان كلمة الحق.

بداية الجهاد:

---

[1]- عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص103.

[2]- عثمان بن محمد بن فودي، فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر، المرجع السابق، ص ص51-54.

انطلق الجهاد في صائفة 1219 ه/ 1804م، إذ وقعت أول مواجهة حاسمة بين قوات الجهاد الإسلامي التي كان يقودها " عبد الله فودي " الذي أخلى مواقعه في " جودو" توقعاً لهجوم من سلطان جوبير واتجه إلى بحيرة " تابكين كوتو" "Taikine Koto " [1]، وعلى ضفافها أطبق المجاهدون على حشود قوات خصوصهم وأوقعوا بهم هزيمة منكرة، وسقط الكثير من عبدة الأوثان، وتفرق شملهم غير أن النصر لم يكن ساحقاً، ولانهائيا، لأن قوات المشركين عادت بعد أن جمعت شتات قواتها سنة 1805م ومن ثم سرعت في شن الغارات المتتالية على المجاهدين ووقعت معركة " تسوناسو" Tssau Nassou " هزم فيها قوات الشيخ وراح منهم أكثر من ألف شهيد، غير أنهم سرعان ما ضمدوا نزيف جراحهم ونفضوا عنهم غبار الهزيمة، وصٌدَ الهجوم بنجاح واستمرت الحرب بين الطرفين سجالاً، إلى أن تمكن المسلمين من إحراز النصر على خصومهم، وبسط سلطانهم على إمارة كبي Kebbi متخذة منها قاعدة ومنطلقاً وعاصمة للجهاد، لتوالى بعد ذلك سقوط الإمارات الوثنية الواحدة تلو الأخرى، فسقطت " زاريا " Zaria 1805م، واستمر النصر حليفاً للشيخ وأتباعه حتى دخلوا عاصمة الإمارة (الكالاوا) عام 1808م وتم قتل السلطان يونفا مع عدد من ابتاعه، وانتهت مقاومة الوثنيين [2] فانتقل الشيخ بعدها عام 1809م إلى مدينة سيفا، بينما استقر ابنه في مدينة سوكوتو.

---

[1]- جوزيف كي زيربو، المرجع السابق، ص630. أنظر أيضا: علي بوترعة، المرجع السابق، ص ص124-125.

[2]- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي عطا الله الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص140.

صارت كلمة المؤمنين هي العليا في البلاد، وأعلن الناس تأييدهم وطاعتهم للشيخ وحدات وداراقات معلنين الولاء والدخول في الإسلام والانضمام إلى حلف المسلمين.

تأسيس الدولة:

بفضل الدعوة والجهاد توسعت رفعة دولة الفولاني وانضمت إليها إمارات جديدة وأعطى الشيخ الإذن والشارات والأعلام إلى أعوانه الذين واصلوا إعلان الجهاد في جميع أصقاع بلاد الهاوسا وتوسعت الدولة ودخل الناس تحت راية الجهاد[1].

المجالات العامة للدولة:

تميزت دعوة الشيخ عثمان بن فودي في هذه المرحلة بتغير جوهري في أنماط الحياة الاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة في بلاد الهاوسا، حيث تكون مجتمع جديد متخلص من رواسب الماضي يتولى أموره علماء مقتدرين ودعاة مخلصين.

فبعدما سارت دعوته في أوساط المواطنين واقتنعوا بمبادئها أخذوا يعلنون رفضهم للأوامر التي تتنافى مع تعاليم الإسلام وخاصة في أوساط الشباب الذين يعتبرون القوة الضاربة في أي قتال يدور وهو ما ساعد الشيخ على توحيد البلاد تحت راية واحدة، ووضع نظام إداريا متقدماً يراعي النظم الإسلامية وتطبيقها.

هذا وقد كان لإخلاص الشيخ عثمان وتفانيه في خدمة الدين دوراً كبيراً في إنجاح حركته الجهادية والدفع بها قدماً إلى أن كللت جهوده بتأسيس دولة

[1]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص142-147.

إسلامية ضمت مساحة واسعة من منطقة غرب إفريقيا بلغت حوالي 1500 كم^2 من الغرب إلى الشرق و500 كم^2 من الشمال إلى الجنوب[1].

غير أن هذا النجاح الذي حققه الشيخ عثمان ولد أعباء جديدة ومسؤوليات جسيمة على الصعيد السياسي والمالي والاجتماعي والثقافي والديني.

*** في المجال السياسي:**

من الملاحظ أن الشيخ غير أسلوب الحياة السائد في بلاد الهوسا وأبرز مجتمعا جديداً تحكمه طبقة جديدة من رجال الدين والعلماء الذين لم يكونوا من أصول ملكية، ولكن رفعهم الدين الإسلامي إلى مصاف الأمراء وبالتالي اختلف طابع الحياة السياسية، عما كان عليه، فبدلا من سيطرة الحكام المحليين على أمور البلاد ظهرت طبقة جديدة تسير وفق أنماط جديدة في الحياة، تختلف عما كان سائداً في هذه الأرجاء من نظم وتقاليد وهو ما ساعد على نشر الدين الإسلامي وتطبيق شريعته في كل مناحي الحياة [2].

*** أما اجتماعياً:**

فإن الشيخ عثمان حسن الجانب كذلك وخصوصاً أن الأوضاع الاجتماعية قبل قيام حركته كانت مزرية ومتردية فكان تركيزه على هذا الجانب مهماً جداً.

جعل الشيخ الدين الإسلامي أساس النظام الاجتماعي في الدولة، حيث تقلد رجال الدين والعلماء مناصب التدريس والقضاء، كما أنه لم تكن طبقة رجال الدين هذه قاصرة على فئة معينة من السكان، بل كانت مفتوحة لكل من تعمق في

---

[1]- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، دراسات في غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص143.

[2]-عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، مرجع سابق، ص142.

الدين وثبت أقدامه على طريق النصح والإرشاد، كما أصبح الدين هو الأساس في تشكيل طبقات المجتمع التي حملت مشعل الحضارة من القبائل الوثنية[1] .

هذا وقد ساهم التجار المسلمين في عملية التبادل التجاري بين هذه الشعوب والعالم الخارجي، وأصبحت المعاملات الإسلامية أساس التعامل في الأسواق، كما حُرِمَت بعض العادات السيئة التي كانت سائدة في المجتمع مثل: شرب الخمر، وأكل لحوم البشر، والأخذ بالثأر وأعطى المواطن الزنجي الحق في أن يصبح حراً كريماً، كما جعل القرابة الدموية من ناحية الأب بدلاً من سيطرة سلطة الأمومة في تلك المجتمعات.

وبعد أن أقام الشيخ عثمان المجتمع على هذه الأمور أصبح الناس يحتفلون بالمناسبات الإسلامية الكبرى مثل عيد الأضحى وعيد الفطر والمولد النبوي الشريف، ومن العادات التي أقرها الشيخ أيضا عادة قراءة القرآن والصلاة على الميت بدلاً من عادة الندب عليه[2].

وعلى العموم فإن الشيخ أقام مجتمع يقوم بالالتزام بتطبيق الشريعة الإسلامية النقية من العادات الوثنية التي التصقت بها.

* **إدارياً:**

قام الشيخ بعدما استتبت له الأمور وفتحت العديد من المناطق واتسعت مساحة الدولة إلى تقسيم مسؤولية إدارة شؤون دولته إلى قسمين.

---

[1]- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي عطا الله الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص143.

[2]-عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي عطا الله الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص143.

1) وضع الجزء الشرقي: الذي يشمل مناطق " باوتشي "، " داوراً "، " كاتو"، " كاتسيتا "، "وزانفرا"، تحت الإشراف المباشر لنجله " محمد بللو"، وكانت هذه المناطق تقوم على استعمال الطرائق الإدارية القديمة غير أنها أخاضعت لتعاليم القرآن.

2) وضع الجزء الغربي: الذي يشمل مناطق " غواندو "، " برغو "، " ديندي"، " الدرين "،

" ليبتاكو"، "بلاد نوبي" تحت الإشراف المباشر لشقيقه عبد الله دان فودي.

وتفرغ الشيخ للزعامة الروحية والتأليف والإرشاد إلى أن توفي سنة 1817م وهو في الثالثة والسبعين من عمره ليتولى بعده زمام الحكم في الدولة نجله " محمد بللو" [*]، الذي اتخذ مدينة "سوكوتو " عاصمة له ويعتبر هذا الأخير من أعظم زعماء الباول وقادتهم، جمع بين نشاطه السياسي وخبرته في شؤون الحرب وبين صفة العالم المتضلع لمختلف العلوم الإسلامية، وهو ما يوضحه العدد الهائل من مؤلفاته [1].

* **اقتصادياً:**

بعدما كان سكان أقاليم الهاوسا خاضعين لهيمنة حقيقية من جانب سوكوتو، والجواند بهدف الحصول على الجزية الكافية والمتواصلة وضع الشيخ عثمان نظام موحد عادل لجباية الضرائب يهدف إلى تنظيم وحكم الإمبراطورية بشكل منظم، وقد أفاد هذا الأمر ممالك الهاوسا وخاصة في مجال التجارة والصناعة التي لم تزدهر من قبل كما تم إنشاء أسواق ببلاد الهاوسا يأتيها التجار عبر الصحراء

---

(1)- إسماعيل العربي: **حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية**، المؤسسة الوطنية للكتب، الجزائر، (1984)، ص143.

ومن النصف الشرقي لإفريقيا الغربية، وهو ما شكل أو ساهم في عملية التبادل التجاري بين شعوب الهاوسا والعالم الخارجي كما أصبحت المعاملات في الدولة كلها إسلامية [1].

*** ثقافياً:**

تميزت دولة الشيخ عثمان بكثرة علمائها وأبنائها اللذين أبدعوا في الإنتاج الفكري والأدبي والعلمي والديني ... كما كان الشيخ نفسه يعمل على العكوف على التأليف، والأمر سيان بالنسبة لأصحابه وإخوانه وأبنائه كما أخذوا في تمجيد العلم وتعزيزه، وكأن في ذلك سر نجاح خلافة سوكتو وخلود آثارها على مر الأزمة.

هذا ويجدر الإشارة إلى أنشطة التثقيف التي شهدتها الدولة في الفترة التي قاربت عشرين سنة تقريبا (فترة الدعوة) في الوعظ والتوعية والإرشاد مثمرة وناجحة.

كما كان لها آثار خارجية على المناطق المجاورة في غرب إفريقيا فقد توجه عدد كبير من العلماء والدعاة الدين تعهدوا على نصرة الدين والعمل لإعلاء كلمة الله ونشر الوعي الديني بين الناس وهو ما كان له الأثر الكبير في نشر الثقافة الإسلامية في هذه المناطق، وكان من بين الدعاة لنشر الدعوة الإسلامية عمر دلاجي الذي توجه لإقليم كاتسينا، وسليمان الذي توجه إلى إقليم كانو وغواني مختار الذي توجه إلى إقليم بورنو والمعلم إسحاق الذي توجه إلى إقليم دورا وضواحيها، ومودبوآدما إلى إقليم آدماوا .... والشيخ صالح بن محمد بن جنتا المشهور بالشيخ عبد الحليم الذي كان من كبار العلماء في سوكتو وقام بتأسيس

---

[1]- دي فيج جي، **تاريخ غرب إفريقيا**، ط1، تر السيد يوسف نصر، مر بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة، (1982)، ص291.

أول مسجد بمدينة "إلورين " حيث نشأت أول حكومة إسلامية ومن خلاله وصل نفوذ سوكتو إلى المنطقة الجنوبية في نيجيريا (1).

ولعل من عوامل النهضة الثقافية التي وصلت إليها الدولة أيضا هو تكليف الشيخ عثمان كل عضو من أسرته مسؤولية تأليف أو كتابه 100 عمل أدبي يتمثل في المقالات حول العقيدة والأخلاق والكون ومواضيع أخرى كثيرة وهذا من أجل نشرها بين الأتباع لتصحيح المبادئ التي كانت سائدة أو لحل المشاكل التي من المحتمل أن تظهر كنتيجة لانتشار الحضارة الإسلامية والقانون الإسلامي بين السكان، وبذلك ساهمت هذه تطوير الجانب الثقافي في الدولة (2).

وهكذا فإن الشيخ عثمان وبتأسيسه لهذه الدولة كان يهدفُ إلى خلق حكومة تنسجم من نقاء العقيدة الأصلية وسموها وخلق مجتمع يحكمه الإمام العادل، وقد بذل هؤلاء الثوريون جهدهم ليحققوا ما حلموا به من مثل عليا وخلق نظاماً اجتماعيا جديداً يعم بلاد السودان الغربي (3).

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1- محمد بلو: **انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، تر بهيجة الشاذلي، ط1، معهد الدراسات الإفريقية، القاهرة،(1996).

2- عثمان بن فوديو : **فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر**، تح سيني موموني، سالو الحسن، ENS EDITIONS، (2011).

3- عثمان دان فوديو : **مخطوط عمدة العلماء**، Ibadan (UL)،77 ، 277 ; Kaduna (LH)،.

(1)- عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص ص129-130.

(2)-فيج جي دي : تاريخ غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص291.

(3)- جوزيف كي زيربو، المرجع السابق، ص638.

المراجع

1- أحمد أبا الصافي جعفري:**من تاريخ توات،** ط1، القاهرة: النهضة المصرية، (2002).

2- أحمد بوعتروس: **الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء ابان القرن الثالث عشر الهجري – التاسع عشر ميلادي،** وزارة الثقافة، الجزائر (2009).

3- إلهام محمد علي ذهني: **جهاد المماليك الإسلامية في غرب إفريقيا (1850-1914)ضد الإستعمار الفرنسي،** دار المريخ، الرياض، (1988).

4- إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر : **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر،** ط2،ج2،مكتبة العبيكان، الأردن (2002) .

5- إسماعيل العربي: **حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية،** المؤسسة الوطنية للكتب، الجزائر، (1984).

6- جوزيف كي زيربو : **تاريخ إفريقيا السوداء،** القسم الثاني، تر يوسف شلب الشام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، (1994) .

7- دي فيج جي، **تاريخ غرب إفريقيا،** ط1، تر السيد يوسف نصر، مر بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة، ط1،(1982).

8- الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: **الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان الفلاتي،** ط1، دار الكتاب، الكويت، (1994).

9- يحي بوعزيز:**تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16الى مطلع القرن 20م**، دار هومة، الجزائر، (2001) .

10- مصطفى الغديري :**أسرة آل فودي ودورها في ترسيخ العقيدة الإسلامية ونشر اللغة العربية في شمال نيجيريا،** أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، كلية الدعوة الإسلامية،طرابلس .

11- مبارك بن الصافي جعفري : **العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12ه،** ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، (2009).

12- محمد سعيد القشاط : **أعلام من الصحراء،** دار الملتقى للطباعة والنشر .

13- علي يعقوب :**الخلافة العثمانية في سكت (SOKOTO) ودورها في غرب افريقيا**، مجلة قراءات مختصة في الشؤون الإفريقية، العدد 11، المنتدى الإسلامي، (2012).

14- عثمان برايما باري:**جذور الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا**، ط 1، دارالأمين، القاهرة، (2000).

15- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي عطا الله الجمل: **تاريخ المسلمين في إفريقيا، ومشكلاتهم**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (1996).

16- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : **الطرق الصوفية في القارة الإفريقية**، ط 1، دار الثقافة، القاهرة(2004) .

17- عبد الوهاب الكيالي : **موسوعة السياسة** ، ج 4، دار الهدى، بيروت .

18- علي بوترعة :**القوافل التجارية ودورها في العلاقات الحضارية بين بلاد المغرب العربي ومنطقة السودان جنوب الصحراء خلال القرنين 18و19 م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص التاريخ الأفريقي الحديث والمعاصر، إشراف بوصفصاف عبد الكريم، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة أدرار (2009-2010).

19- شوقي الجمل : **الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا**، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد 8، جامعة القاهرة، (1979).

المواقع:

www.attarikh-alarabi.ma

URL=http://www.islamonline.net